



خطبة صلاة الجمعة 30/8/2013 للشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(يارب)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونستترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيّه وخليفه، خيرُ نبيّ اجتباه، هدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أمّا بعد:

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإيّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير: قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾، [المؤمنون: 118].

وقال تعالى على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَعَمْتُ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿، [القصص: 16، 17]، ظهيراً أي معيناً.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾، [الأعراف: 94].

عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول:

((رب أعني ولا تعن علي، وانصريني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصريني على من بغى علي.

رب اجعلني لك شكاراً، لك ذكراً، لك رهاباً، لك مطواعاً، لك محبباً، إليك أواها منيباً.

رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل
سخيمة صدري))، سخيمة الصدر الحقد والضغائن.

عنوان الخطبة:

(يا رب)

أيها الإخوة:

في زحمة الحياة واضطرابها، ومع تسارع الأحداث واشتدادها، ومن رَحِمَ الأزمات وآلامها، يجد
المرء نفسه أحوج ما يكون لكي يقول: يا رب.

عندما يتنفس الصبح وفيه غُصَّةُ الترقب، وعندما ينسدل الليل على رجفة التخوف، يجد المرء
نفسه أحوج ما يكون لكي يقول: يا رب.

يوم لحق فرعون وجنوده موسى عليه السلام، وحين تراءى الجمعان للْحُمَامِ، لم يجد نبيُّ الله أقوى
من كلمة: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ، [الشعراء: 62] 0

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ، فكانت
العاقبة: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ ، [الشعراء: 61 - 67].

لما ضم الغار الصدق والصديق، واقترب أهل الشرك من إلحاق الضرر بالدعوة الإسلامية، لم يكن
مع النبي صلى الله عليه وسلم أمضى من سلاح: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ ، [التوبة: 40].

فكانت العاقبة: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى
وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ، [التوبة: 40].

أيها الإخوة:

قدم لي أخٌ كريم يوماً كتاباً صغيراً لا يتجاوز الثمانين صحيفة فيه من الفائدة الكثير، أحببت في
خطبة اليوم أن أختصر لكم ما جاء في النسخة المترجمة له.

مؤلف الكتاب "ألكسيس كارل" طبيب جراح فرنسي, حاز جائزة نوبل مرتين لتفوقه في الجراحة وفي زراعة الأعضاء، أحدث اكتشافات مهمة في طريقة تطعيم العضلات وفي علم الأنسجة، مات سنة 1944، وألكسس كارل ليس مسلماً، وتعجبون إذا أخبرتكم أن اسم الكتاب الذي ألفه: (الدعاء).

يقول المترجم: ليس الدعاء عقاراً مخدراً يقعد بالإنسان عن مزاوله النشاط، ولا هو نتيجة انحرافية تلحق بالإنسان عندما تقوم في وجهه عقبات، فيتوقع على نفسه مستسلماً للدعاء، كمتنفس عما ألمَّ به من نكبات، أو عما نزل به من شدائد. إنه على العكس من ذلك دواء ناجع للإنسان، ليستعيد ما استنزف من طاقة وما هدر من وقت، ليبتعث من جديد نشاطه وحيويته.

يقول المؤلف:

تعريف الدعاء: الدعاء هو تعبير عن شكوى متألّمة، أو صرخة قلق، أو طلب استغاثة. ويمكن أن نعرف الدعاء بأنه: ارتفاع بالنفس نحو الله، وعبادة للذي منحنا الحياة. إن الوصول إلى هذا التجلي الروحي العميق لا يحتاج إلى معرفة كتبية، تماماً كرهافة الحس في تذوق الجمال، وخفقات القلب عند الشعور بالحبّة. إن البسطاء من الناس يشعرون بوجود الله ولطفه بهم شعوراً طبيعياً، كما يشعرون بالدفء الصادر عن الشمس والعطر المتضوع من الزهر. **تقنية الدعاء (كيف يجب أن ندعو؟):** لكي نأتي بالدعاء ينبغي فقط أن نبذل جهداً لنتجه نحو الله.

ومهما يكن الدعاء قصيراً أو طويلاً، جهراً أو همساً فإنه ينبغي أن يكون شبيهاً بمحاوره الطفل مع أمه.

نتقدم بالدعاء كما نحن، بدون أي احتفاء بالمظاهر الخارجية المزيفة. إلى ذلك فإن الإقبال على الدعاء ينبغي أن يكون بكل كيان الإنسان وجوارحه، كما تكون المحبة.

أما بالنسبة لشكل الدعاء فإنه يتنوع من المناجاة الصغيرة حتى التأمل العميق، من الكلمات البسيطة لفلاحة تدعو على مفترق الطرق، حتى القداس المتقن.

وما ينبغي التوقف عنده أن المرء لا ينبغي أن يكون خطيئاً مفوها لكي يكون مستجاب الدعاء. هذا، وإذا كنا نحكم على الدعاء من خلال نتائجه، فإن كلماتنا المتواضعة في التضرع والحمد تبدو أكثر قبولاً عند موجد الكائنات من أي دعاء مليء بالتعقيدات والزخارف اللفظية.

إن طريقة الدعاء الفضلى هي تلك التي تجعلك تحس بالصلة القوية بالله سبحانه.

أين ومتى ندعو؟ نستطيع أن ندعو الله في كل مكان: في الشارع، وفي السيارة، وفي الباحة، وفي المكتب، وفي المدرسة، وفي المصنع، ولكن الدعاء الأفضل والأكثر حرارة إنما يكون في البراري وفي الجبال، أو في غرفة منعزلة.

ونحن في هذه الأيام بأمس الحاجة لأمكنة للدعاء، ومن الأفضل أن تنشأ معابد في المدينة حيث يستطيع سكانها أن يجدوا -ولو لبرهة وجيزة- الشروط الفيزيائية والنفسية التي لا يمكن الاستغناء عنها للحصول على الراحة النفسية الداخلية.

إن إيجاد جزر سلام جميلة ومهيأة للاستقبال، وسط جلبة المدينة وضوضائها، أمر ضروري. وبدهي أن أقول: إنه من غير المعقول أن ندعو الله في الصباح، لنكمل بقية النهار بأعمال بربرية قائمة على التعدييات، وانتهاك الحقوق.

ثمرة الدعاء: إن الدعاء يعتبر عند الرجال العصريين عادة بالية مهجورة، وخرافة لا طائل تحتها. وفي الحقيقة إننا نجعل جهلاً يكاد يكون تاماً، آثار الدعاء وإيجابياته.

فما أسباب جهلنا يا ترى؟

أسباب جهلنا لقيمة الدعاء تعود بادئ ذي بدء إلى قلة مواظبتنا على الدعاء وممارستنا له.

إن صوت الدعاء الخافت الذي يهمس في أعماقنا، سرعان ما يختنق وسط ضجيج العالم وصخبه. ولا شك أن الدعاء يؤثر على الفكر وعلى الجسد بشكل يبدو أنه يتعلق بنوعية الدعاء، وبكثافته والمداومة عليه.

ويمكن أن يقارن تأثير الدعاء بشكل من الأشكال بتأثير الغدد الصماء ذات الفرز الداخلي، كالغدة الدرقية والغدة الكظرية.

هذا وإن الطبيب ليسعد حين يجد مريضاً ينكب على الدعاء، ذلك أن الطمأنينة النفسية التي تتولد عن طريق الدعاء تكون عوناً عظيماً على الشفاء والمعالجة. فالدعاء يرفع الناس فوق مستواهم الذهني، الذي ينتمون إليه. إن المكتب الطبي التابع لمنتجع "الورد" الفرنسي، أدى خدمة كبيرة للعلم عندما برهن على أن حقيقة شفاء كثير من الأمراض المستعصية كان بفضل الدعاء وحده. إن ما نعرفه يقيناً -حتى الآن- هو أن الدعاء يعطي نتائج ظاهرة للعيان، وإنه لمن الغرابة أن تحدث أشياء بهذا الشكل المعجزاتي .

أنهى "ألكسيس كارل" كتابه بخاتمة قال فيها:

(الدعاء معراج روحي للإنسان نحو الله، وبالدعاء يتغلغل حب الله في أعماق ذواتنا، ومن هنا علينا أن لا ننظر إلى الدعاء كعمل لا يقوم به إلا ضعاف العقول والمتسولون، أو الرعايد الجبناء). لقد كتب "نيتشه": إنه لمن المخجل حقاً أن ندعو. ولكن الواقع إذا كان الدعاء مخجلاً، فكذلك شرب الماء والتنفس يدعوان إلى الخجل مثل ممارسة الدعاء.

إن الإنسان بحاجة لوجود الله أكثر من حاجته لاستنشاق الأكسجين للمحافظة على جذوة الحياة. ولزام علينا أن نتعشق جمالية العلوم من دون أن نتخلى عن تعشقنا لجمالية الله، مبدع الكائنات العلي العظيم.

كذلك ينبغي أن نصغي لباسكال في دعوته للإيمان والروحانية، بحماس لا يقل عن إصغائنا لديكارت في دعوته لاعتماد العلم التجريبي.

أيها الإخوة:

هذا مختصر ما جاء في كتاب الدعاء للطبيب الجراح "ألكسيس كارل"، وإن حاجة الواحد فينا في ظل هذه المتغيرات الرهيبة التي نحيها لقولة: "يا رب"، من أكبر الحاجات، وثقتنا بالله تعالى تدعونا لتذكر قوله جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ اللَّهَ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾، [الزمر: 36، 37].

قال تعالى في سورة "آل عمران"، في الآية: (190) وما بعد:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ .

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ نَسِيَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ * لَا يُعْزِزُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَبُسُّ الْمِهَادِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزَّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ , [آل عمران: 190 - 198].

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أي أجابهم.

قال الحسن: ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم.

وقال جعفر الصادق: من حزنه أمر فقال خمس مرات: (ربنا), أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد.

قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرؤوا إن شئتم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ , إلى

قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ , [آل عمران: 190 - 194].

روى أبو عوانة في صحيحه, عن عامر بن خارجة: أن قوماً شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم قحط المطر, فقال: ((اجثوا على الركب, ثم قولوا: يا رب, يا رب)).

والحمد لله رب العالمين